البرتغال :

فشلت محاولة الانقلاب المضاد وسقطت معها عدة اوهام رجعية واميركية

الصّراع يحتدم بين القوى اليمينيّة والقوى الاشتراكية

بفشل الانقلاب المضاد في البرتغال وهرب بطله سبينولا لاجئا سياسيا في البرازيل ليلتقي باركان النظام الديكتاتوري الذي كان قد شارك في الاطاحة به ، تتلاشى بضعة اوهام كانت تتغذى مخيلة القوى المعادية لنظام الحكم الوطني التقدمي القائم هناك ، تنتظر الفرصة المناسبة للانقضاض عليه واستعادة مواقعها المفقودة واجهاض ما حققه التغيير في هذا البلد الاوروبي بعد حقب من الديكتاتورية المتسلطة .

فقد سقط الوهم الاميركي بان الوضع في البرتغال قد نضج لانقلاب مضاد ناجح . وسقط الوهم الاميركي ووهم القوى الرجعية اليمينية المحلية بان ما يسمى بالاتجاه « المعتدل » هو الاتجاه الاكثر استقطابا في البلاد وبالتالي فان تحرك سبينولا للعودة سيجد دعم الاكثرية خاصة في القوات المسلحة . كما سقط وهمهم بان الخلافات على جبهة اليسار ، خاصة بين الاشتراكيين والشيوعيين ، قد اضعفت قاعدة الحكم القائم كما اضعفت سلطته، وان سبينولا بطرح نفسه كالبديل المعتدل سيلاقي التأييد الكافي المطلوب .

وبسقوط هذه الاوهام يتأكد مجددا ، بان حركة القوات المسلحة من القوة والتنظيم بدرجة اخطا اليمين الرجعي وحليفته واشنطن، في صحة تقديرها وبان الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة في التغيير الذي تم في بلادهم على مرحلتين (الانقلاب العسكري الاول في نيسان الماضي ومن ثم اقالة سبينولا، الذي اراده تغييرا سطحيا) هذه الجماهير التي البتت في مناسبات عديدة ، قدرتها في التصدي لنشاطات القوة الفاشية واليمينية ، تستطيع في تأهبها ويرصدها الدائم ، ان تلعب دورها في مقاومة المحاولات التآمرية المضادة . كما يتأكد ما هو شديد الاهمية ، بان الخلافات والنزاعات التي احتدمت على جبهة اليسار البرتغالي في الاشهر الاخيرة ، لا تعني عدم وعي هذه القوى لخطورة المرحلة التي تتطلب مواجهة متماسكة صلبة للتحركات الرجعية المضادة ، وان قضايا الخلاف القائمة فعلا بينها ، يجب ان لا تعطي الفرصة السانحة للرجعية المتربصة بهم .

واذا كانت خطوة تأميم المصارف المحلية (باستثناء مصارف الادخار والمصارف الزراعية والمصارف الاجنبية) والتي تسيطر على الصناعة والاعلام في البلاد، « خطوة اولى هامة لوضع الاقتصاد في خدمة الشعب ، للتأكد من ان المصارف تعمل من اجل تنمية البلاد كلها ، وليس من اجل مصالح « اقلية مميزة » ، كما وصفها رئيس الوزراء غونزالفيز، فان من ابرز النتائج السياسية الفورية للمحاولة الانقلابية الرجعية الفاشلة ، كانت اقدام الشيوعيين على مد غصن الزيتون الى الاشتراكيين بدعوتهم لاجراء محادثات من اجل تحقيق وحدة اليسار البرتغالي اليوم قبيل الانتخابات القادمة بعد بضعة اسابيع (في ١٢ نيسان) ومن بعدها. وكان الحزب الاشتراكي بقيادة سواريز وزير الخارجية، يشن حملة سياسية ضد الحزب الشيوعي، في الاسابيع الاخيرة،شجعت القوى المعادية اليمينية على التوهم بان منازعات القوى الاشتراكية فيما بينها ستكون ضمانة ضد تماسك هذه القوى في صف واحد لمجابهتها .

● سقوط رمز الاعتدال

ان الجنرال سبينولا بعد اقالته لم يعتزل نهائيا بل حافظ على صلاته العسكرية والسياسية مراهنا بالعودة « كمنقذ » مرة اخرى ، من بعد ان طرح نفسه كمنقذ للبرتغال في الفترة القصيرة التي سبقت الانقلاب ضد الحكم الديكتاتوري . ولكن فشل مراهنته بفشل محاولته الانقلابية المضادة لم يسقطه نهائيا وبعده للانضمام الى قافلة اللاجئين السياسيين الاول في البرازيل ، بل اسقطه كرمز لما يسمى بالاتجاه المعتدل الذي طرح دائما كبديل، او كخيار ثالث بين الاشتراكية والديكتاتورية ، وفضح بالتالي الطبيعة الحقيقية لهذا البديل كقناع ديمقراطي لقوى اليمين الرجعي الذي بات يدرك بان الديكتاتورية في البرتغال ما كان يمكن ان تستمر الى ما لا نهاية، كما توهمت السالازارية دائما .

وبزوال رمز المعتدلين في القوات المسلحة خاصة، مع فشل الانقلاب المضاد ، تتحدد خطوط الصراع بوضوح اكثر بتعديل مواقع نقاط الاستقطاب السياسي . فتزعم « رمز الاعتدال » للمحاولة الانقلابية الفاشلة ضد الحكم الوطني التقدمي، تعيد العناصر المسماة بالمعتدلة ، الى مواقعها الحقيقية في معسكر اليمين ، في مواجهة القوى الديمقراطية الاشتراكية .

وقد تجددت قوة الحكم بالاستفتاء الجماهيري الذي تجسد في تحرك الجماهير الشعبية بقيادة الاحزاب اليسارية دفاعا عن مصلحتها في المحافظة على نظام الحكم القائم من محاولات الرجعية في اغتصابه والاستيلاء على السلطة مجددا .

ولكن اليمين المتربص بمحاولته الانقلابية الخائبة قد بادر عمليا الى خلع قفازه متحديا القوى الاشتراكية الى المبارزة. واذا كان قد فشل في جولة هذه فانه بالتأكيد لم يتخل عن امل محاولة تالية لان مخالبه لم تقلم كلها بعد . وقد قالها رئيس الوزراء بوضوح عندما اعلن في احدى المناسبات اخيرا ، بان الرجعية والفاشية العدو رقم واحد ، لم يسحق نهائيا بعد في البرتغال ، وانه يتوجب مواصلة النضال ضده دون هوادة . ولهذا فان خطوة تأميم المصارف المحلية التي وصفتها الحكومة بالخطوة التي لا رجوع عنه ، يجب ان يثبت بانها ستكون الخطوة الاولى . ويجب ان تبقى العبر من دروس تجربة التشيلي في عهد اليندي القصير العمر وسقوط اعظم القوى التقدمية الحاكمة في تاريخ القارة . فالامبريالية الاميركية والقوى الرجعية المحلية الحليفة لها ظلت تتآمر على عدة اصعدة ضد الحكم ولجأت الى اساليب عدة لانضاج الوضع وشن الانقلاب العسكري الفاشي ضد حكم وحدة القوى الديمقراطية هناك ، بعدما نجحت في اهداف حربها النفسية والحصارية الشرسة ضدها .

احتدام الصراع

ان المحاولة الانقلابية المضادة لم تجيء كمفاجأة رغم كل التمهيدات لها واضحة في الفترة الاخيرة، في صعيد تحرك القوى اليمينية الناشط ، والذي كان دائما موضوع « تصدي القوى الديمقراطية والاشتراكية له وقد اخذ دائما طابع العنف ، وعلى صعيد الحرب الاعلامية الاميركية التي ما فتئت تنعي على الديمقراطية في البرتغال » وتتحدث عن « الديكتاتورية » التي ورثت ديكتاتورية، بل وراحت تستبق الاحداث ، فتراهن على ان الانتخابات العامة المزمعة لن تجري ، وتندر وتهول من مضاعفات العمل كسلاح للقوى الاشتراكية في البرتغال والعالمية ...

وان كانت تلك التهديدات نذيرا للمحاولة الانقلابية المضادة ، فان فشل الامبريالية الاميركية والقوى الرجعية المحلية في محاولتها هو بمثابة اعلان بان البرتغال قد دخلت مرحلة صراع اكثر وضوحا بين هذه القوى اليمينية وبين القوى الديمقراطية والاشتراكية خاصة من بعد الانتخابات العامة القادمة قريبا كيفما كانت نتائجها .

●

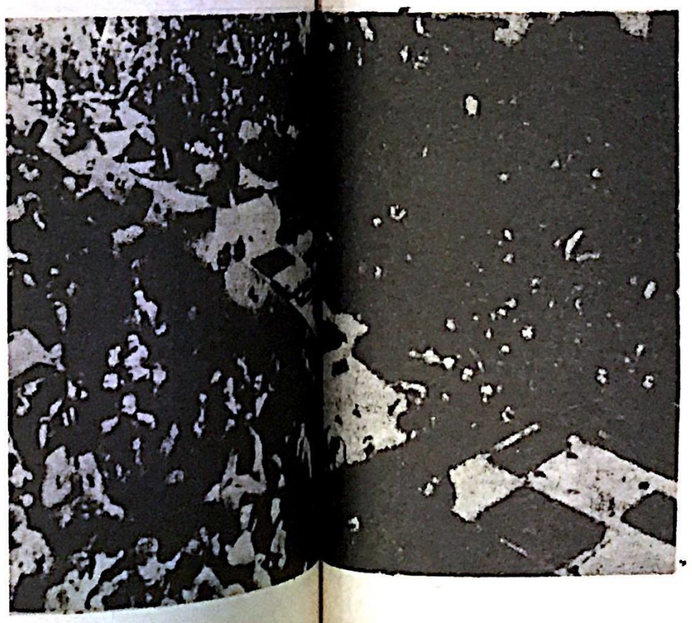

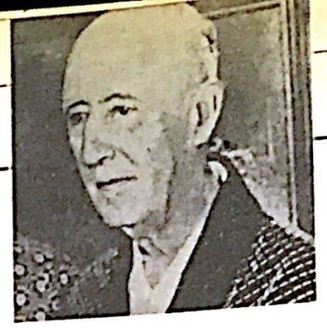

اسبانيا :

النظام الديكتاتوري يجرض منطوه دعاة الاصلاح

● حتى فشل الانقلاب المضاد في البرتغال في لحظاته الاولى ، والذي يدل على قوة حركة القوات المسلحة في المؤسسة العسكرية البرتغالية سيكون الدرس الذي سيمر مرورا عابرا على نظام الحكم الديكتاتوري في اسبانيا .

لقد قيل وكتب الكثير منذ الاطاحة بالديكتاتورية في البرتغال ، عن اثر هذا التطور على الديكتاتورية الاسبانية ، وعلى انه حدث لن يمر مرورا عابرا على نظام حكم فرانكو ، وسيضطره الى الانفتاح على اجراءات ليبرالية تكون بمثابة صمام الامان ، الذي اغفلت السالازارية في البرتغال اهميته باعتمادها الكلي على سياسة الكبت والقمع لضمان امنها واستمرارها . ومع ذلك فان ردة فعل القوى الفرانكوية كانت المزيد من التصلب تجاه المعارضة الليبرالية ، بل وتجاه الدعوات المتردة من رجالات من صلب النظام الى اصلاحات تخفف بدرجة صغيرة من القبضة الديكتاتورية الخانقة في البلاد .

ولكن اذا كان الحكم في مدريد قادرا الان على مثل هذا التشدد والتعنت فان هذا بحد ذاته ، ليس دليلا على القوة . ان قبضة الجنرال فرانكو الواهنة تدريجيا اليوم واحتمال ان تشهد اسبانيا تطورا مشابها لما جرى في البرتغال من بعده ، قد فجرت سلسلة من الصراعات السياسية داخل النظام نفسه الى جانب الاضطراب السياسي خارجه . ووجود فرانكو حتى الان هو الذي يكبت هذه الصراعات ويمنعها من الوصول الى درجة الغليان .

فقد كانت محاولات رئيس الوزراء ارياس نافارو لانقاذ النظام باجراءات ليبرالية مترددة ومرتبكة بحيث انها لم ترض الاصلاحيين في الوقت الذي اثارت فيه مقاومة شديدة داخل ما يسمى بالحركة الوطنية ، حزب الدولة الرسمي (الكتائب) . وكان الاقتراح الرئيسي في برنامجه الاصلاحي الذي كبا بعد خطوته الاولى ، الانتقال من الحزب الواحد الى نظام « الاحزاب السياسية المحدودة » — بشرط ان تكون كلها موالية للنظام (!) .

وبعود فشل هذا الاقتراح ، المتوقع ، الى شرط اساسي فيه يفرض على هذه الاحزاب ان تحصل على موافقة رسمية لبرنامجها السياسي .

بل ان وزيرا سابقا ينتمي الى حزب « يميني وسطي » دعا الى احداث ثلاثة تغييرات رئيسية — حق الاقتراع الحر من اجل برلمان جديد ، اطلاق حرية العمل النقابي، واصلاحات دستورية شاملة — ولكن النظام رفضها ، واعلن نافارو رئيس الوزراء وبكل وضوح ، بان الحكم لن يسمح باصلاحات دستورية ، وان اقتراحه الاول حول الاحزاب من المحتمل ان لا يتحقق ايضا ...

اكثر من ذلك تفجرت معركة حكومية بسبب محاولة لوضع مرسوم يعترف بالاضرابات كحقيقة قائمة ، وينظمها ، وادت الى استقالة وزير العمل والى اجراء تعديل وزاري في الاسبوع الماضي ، برغم ان اسبانيا تعيش يوميا اضرابات عمالية وطالبية ، خاصة في الفترة الاخيرة .

واليوم من بعد التعديل الوزاري ، نجد ان الحكومة باكثريتها الساحقة مؤلفة من عناصر يمينية محافظة متصلبة ، ولم تبق فيها سوى بضعة عناصر ليبرالية . ولكن رغم ذلك فان اجراءات الكبت قد فشلت في ازاح الصحافة الى الصمت ، او ازاح الحركة الطلابية الى تعليق نشاطاتها السياسية . كما ان حالة الركود الاقتصادي ما تزال تحرك الاضطرابات العمالية على نطاق واسع . حتى المنظمات النسائية لم تبق خارج حلبة الصراع . فارتفاع الاسعار الجنوني اصبح سببا رئيسيا في تحرك اوسع قطاعات الشعب على جبهة المعارضة. كما ان عناصر عديدة من الكهنة الكاثوليك ومن الضباط قد انضموا الى المعارضة بدرجات متفاوتة ، مطالبين بالتغيير الجذري السريع .

ان تشدد وتعنت النظام الديكتاتوري تجاه المطالب الليبرالية قد سحب البساط من تحت اقدام ما يسمى بالمجموعات السياسية « المعتدلة » الاصلاحية الاتجاه . وقد اصبحت ملامح الصراع اكثر تحديدا، بين النظام اليميني الرجعي المفسن وبين القوى الديمقراطية الاشتراكية ، بعد خيبة الليبراليين المتوقعة . ان اصرار النظام الاسباني القائم على ديكتاتورية قد طورت الظروف في اسبانيا اخيرا ، الى تلك التي كانت تسود البرتغال عشية حركة الضباط الاحرار — مع التسليم بالتأثير الرئيسي لكون البرتغال كانت تخوض حروبا استعمارية طويلة في افريقيا ... ولهذا تتزايد الاحتمالات ببروز « سبينولا اخر » في مدريد ، يفتح صمامات الامان المغلقة استعدادا للمواجهة مع القوى الاشتراكية الثورية الناشطة تحت الارض حاليا .

●